

تفسير البحر المحيط

@ 219 @ إقرار { حَيْثُ } على الطرفية المجازية على أن تضمن { أَعْلَمُ } معنى ما يتعدى إلى الطرف فيكون التقدير [] أنفذ علماً { حَيْثُ يَجْعَلُ } أي هو نافذ العلم في الموضوع الذي يجعل فيه رسالته ، والطرفية هنا مجاز كما قلنا وروى { السَّاحِرُ حَيْثُ } بالفتح . ف قيل : حركة بناء . وقيل : حركة إعراب ويكون ذلك على لغة بني فقعس فإنهم يعربون { حَيْثُ } حكاها الكسائي . وقرأ ابن كثير وحفص رسالته بالتوحيد وباقي السبعة على الجمع . .

{ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ } هذا وعيد شديد وعلق الإصابة بمن أجرم ليعم الأكابر وغيرهم ، والصغار الذل والهوان يقال : منه صغر يصغر وصغر يصغر صغراً وصغاراً واسم الفاعل صاغر وصغير وأرض مصغر لم يطل نبتها ، عن ابن السكيت وقابل الأكبرية بالصغار والعذاب الشديد من الأسر والقتل في الدنيا والنار في الآخرة وإصابة ذلك لهم بسبب مكرهم في قوله : { لِيَمْكُرُوا فِيهَا } وقوله : { وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ } وقدّم الصغار على العذاب لأنهم تمرّدوا عن اتباع الرسول وتكبروا طلباً للعر والكرامة فقولوا أوّلاً بالهوان والذل ، ولما كانت الطاعة ينشأ عنها التعظيم ثم الثواب عليها نشأ عن المعصية الإهانة ثم العقاب عليها ومعنى { عِنْدَ اللَّهِ } قال الزجاج : في عرصة قضاء الآخرة . وقال الفراء : في حكم [] كما يقول عند الشافعي أي في حكمه . وقيل : في سابق علمه . وقيل : إن الجزية توضع عليهم لا محالة وأن حكم [] بذلك مثبت عنده بأنه سيكون ذلك فيهم . وقال إسماعيل الضير : في الكلام تقديم وتأخير أي صغار { وَعَذَابٌ شَدِيدٌ } عند [] في الآخرة ، وانتصب عند { سَيُصِيبُ } أو بلفظ { صَغَارٌ } لأنه مصدر فيعمل أو على أنه صفة لصغار فيتعلق بمحذوف ، وقدّره الزجاج ثابت عند [] و { مَا } الظاهر أنها مصدرية أي بكونهم { يَمْكُرُونَ } . وقيل : موصولة بمعنى الذي . .

{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ لَهُ الْإِسْلَامَ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّ زَمْماً يَمْسَعُهُ } قال مقاتل : نزلت في الرسول صلى [] عليه وسلم) وفي أبي جهل ، والهداية هنا مقابلة الضلالة والشرح كناية عن جعله قابلاً للإسلام متوسعاً لقبول تكاليفه ، ونسبة ذلك إلى صدره مجاز عن ذات الشخص ولذلك قالوا : فلان واسع الصدر إذا كان الشخص محتملاً ما يرد عليه من المشاق والتكاليف ، ونسبة إرادة الهدى والضلال إلى [] إسناد حقيقي لأنه تعالى هو الخالق ذلك

والموجد له والمريد له وشرح الصدر تسهيل قبول الإيمان عليه وتحسينه وإعداده لقبوله :

وضمير فاعل الهدى عائد على { أي يشرح } صدره . وقيل : يعود على الهدى المنسبك من {
أَن يَهْدِيَهُ } أي يشرح الهدى صدره . قال ابن عطية : ويتركب عليه مذهب القدرية في
خلق الأعمال ؛ انتهى . وفي الحديث السؤال عن كيفية هذا الشرح وأنه إذا وقع النور في
القلب انشرح الصدر وأمارته الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد
للموت قبل الفوت والضيق والحر كناية عن ضد الشرح واستعارة لعدم قبول الإيمان والحر
الشديد الضيق ، والضمير في { يَجْعَلُ } عائد على { اللّٰهُ } ومعنى يجعل يصير لأن
الإنسان يخلق أوّلاً على الفطرة وهي كونه مهياً لما يلقي إليه ولما يجعل فيه فإذا أراد
{ إضلاله أضله وجعله لا يقبل الإيمان ويحتمل أن يكون { يَجْعَلُ } بمعنى يخلق وينتصب {
ضَيْقاً حَرَجاً } على الحال أي يخلقه على هذه الهيئة فلا يسمع الإيمان ولا يقبله ولاعتزال
أبي عليّ الفارسي ذهب إلى أن يجعل هنا بمعنى يسمى قال كقوله : { وَجَعَلُواْ
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَّمَا } قال : أي سموهم أو
بمعنى يحكم له بالضيق كما تقول : هذا يجعل البصرة مصراً أي يحكم لها بحكمها فراراً من
نسبة خلق ذلك إلى { تعالى ، أو تصييره وجوباً على مذهبه الاعتزالي ونحو منه في خروج
اللفظ عن ظاهره . قول الزمخشري { أَن يَهْدِيَهُ } أن يلفظ به ولا يريد أن يلفظ إلا بمن
له لطف بشرح صدره للإسلام يلفظ به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب